

الفصل الثالث

جماعة يهود الدونمة

المبحث الأول: ظهور شابائى زيفى ودعوته فى تركيا .

المبحث الثانى: فرق يهود الدونمة.

المبحث الثالث: الكتب المقدسة لدى يهود الدونمة وعقائدهم.

المبحث الرابع: علاقة يهود الدونمة بالأديان الأخرى.

المبحث الأول : دعوة شباباتاي زيفى مؤسس يهود الدونمة:

أولاً: تعريف كلمة الدونمة:

لغة: مشتقة من الكلمة التركية Donmek التى تعنى الرجوع أو العودة أو الارتداد.^(١) ودونمة كلمة مركبة من جزئين "دو" بمعنى اثنين، و"نمة" بمعنى نوع ومعنى الكلمة كلها الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودى، والنوع الإسلامى.^(٢)

وتطلق دونمة على المرئدين من دين إلى آخر وكانت تستعمل كلمة Avdeti " لا من كلمة الدونمة ويقصد بها المجاملة، وأطلق عليهم فى مدينة أدرنة التركية" اسم سازاينكوس Sazanikos وهو نوع من السمك لأن زعيمهم تنبا بخلصهم تحت برج من السمك.^(٣)

ويطلق على لفظ دونمة بالمفهوم الاجتماعى: المرئد أو المتذبذب، وتعنى من الناحية الدينية مذهباً أو ديناً جديداً.^(٤)

وسمى الدونمة أنفسهم بجبريم Heberim والمقصود بها الشركاء، وسمو أنفسهم بعلة Beulw بمعنى ملحمة، وأيضاً Milhamah يعنى المجاهدون.^(٥) واليهود يطلقون على فرقة الدونمة "سينيم" وهى كلمة عبرية تعنى المنشقين عن طائفة ما.^(٦)

(١) أحمد نورى النعمى، يهود الدونمة، دراسة فى الأصول والعقائد والمواقف موسمة الرسالة، بيروت ط١، ١٩٩٥، ص٨.

(٢) رأفت غنيمى الشيخ وآخرون، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ٢٠٠٤م، القاهرة، مصر، ص٢٣٧.

(٣) Turk Asnsiklopedisi, cilt, x 17, Eğitim Basimeri, Ankara, 1966. S.41-42.

(٤) أحمد نورى النعمى، يهود للدونمة، ص٨.

(٥) Islam Ansiklopedisi, Islam Tarih, Cograra, Cogtafa, Elnografya Ve Biyogafya Lugati, N.Cilt Is, M.E.B.1977. S. 646.

(٦) جعفر هادى حسن، فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام، ط٣، مؤسسة الفجر، بيروت - لندن، ١٩٨٨، ص٨١.

الدونمة اصطلاحاً:

مصطلح الدونمة له معنيان أحدهما خاص والآخر عام:

المعنى العام: أطلق قبل القرن السابع عشر ويعنى فى التركية القديمة التبديل والتغيير وهم الذين يعودون إلى الدين الإسلامى، ومن يفضل ديناً غير الدين الإسلامى فيطلق عليهم اسم المرتدين.

أما المعنى الخاص للدونمة أطلق بعد القرن السابع عشر على اليهود الذين يعيشون فى المدن الإسلامية وخاصة فى ولاية سلانك.^(١)

ومن المعنى الخاص عرفت الدونمة بتعريفات عدة منها:

الدونمة: يطلق على اليهود الذين ادعوا الإسلام لغرض الأمن ويعيشون تحت سيطرة الإسلام وهم على يهوديتهم.^(٢)

الدونمة: هم اليهود الذين هاجروا من أسبانيا إلى تركيا بعد الاضطهاد وأخذوا طابعين يهودى وإسلامى.^(٣)

الدونمة: يشار بهم إلى جماعة من اليهود الذين تشوقوا إلى المسيح، وأرادوا العودة إلى القنص لغرض بناء معبد سليمان.^(٤)

والدونمة: تطلق على فئة من اليهود الذين نزحوا من الأندلس إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتراف الإسلام.^(٥)

الدونمة: هم اليهود الذين اسلموا علناً ، وأسروا اليهودية.^(٦)

الدونمة: تعنى العودة والتراجع والخائن والمنافق الذى يغير فكره.^(٧)

(١) أحمد نورى النعمى، يهود الدونمة، ص ٨٠.

(٢) جعفر هادى حسن، فرق الدونمة بين اليهودية والإسلام، ص ٨١.

(٣) رأفت للشيخ وآخرون، هلمش ص ٢٣٧.

(٤) Islam ansilopedisi, e.g. e.s. 646.

(٥) أحمد نورى النعمى، يهود الدونمة، ص ٩.

(٦) إبراهيم الدلقنى، فلمطين والصبيونية فى وسائل الإعلام التركية، مطبعة المريد، بغداد، ١٩٨٧ م، ص ١٧.

(٧) هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة فى تركيا، عين للدراسات، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢ م، ص ٩.

الدونمة: هم طائفة يهودية تحمل معنى خاصاً في التاريخ العثماني، حيث اعتنقوا الإسلام في أماكن مختلفة من الدولة العثمانية منذ القرن السابع عشر الميلادي وخاصة في مدينة سلانيك التركية.⁽¹⁾

يتضح من خلال التعريفات السابقة أن الدونمة جماعة يهودية تمسحت بالإسلام جهراً وأخفت يهوديتها سراً من أجل أغراضها الخاصة تجاه الدولة العثمانية في بداية الظهور وأيضاً تجاه قيام الدولة التركية، وموطنهم الأصلي تركيا وإن تفرعوا في بلدان أخرى.

ثانياً: مولد مؤسس جماعة الدونمة شاباتاي زيفي:

مؤسس جماعة يهود الدونمة يدعى شاباتاي زيفي Sabbatai Zevi ولد في أزمير بتركيا في ٢٣ يوليو ١٦٢٦م، وتوفي عام ١٦٧٦م، ويسمى أيضاً سبتاي سه وي Sabatay sev.⁽²⁾ والده يدعى موردخاي زيفي، وكان في الأصل فقيراً، ثم أصبح وكيلاً لبنت إنجليزى في اليونان، ثم نال ثقتهم لجديته في العمل، حتى أصبح يعمل في التجارة في أزمير وهو في الأصل من يهود أسبانيا، وعرف في الأوساط التركية بلقب "المفتش الأسود" Kara Mentesh.⁽³⁾

شاباتاي زيفي هو الابن الأصغر لـ "مورد خاي زيفي" من بين ثلاثة أخوة.⁽⁴⁾

ثالثاً: تعليم شاباتاي زيفي:

قام والده بإرساله إلى المدارس الدينية فدرس شاباتاي زيفي التلمود في صغره على يد الحاخام جوزيف، وهو أحد الحاخامين المتشددين سواء في دراسته لتلاميذه، أو تشدده وانحيازه للتلمود، وعدم اعترافه بالكتب المقدسة الأخرى، وتأثر بالأفكار الدينية عندما كان يتلقى دروس الحاخامية.⁽⁵⁾

درس شاباتاي التلمود وتعاليم القابالا Kabbalah، وتردد على يد أستاذ آخر؛ ليكتسب منه بعض التعاليم التلمودية، وهو الحاخام إسحاق ألبا isakAlbe. وفي سن

(1) Turk Ansiklopedisi, S.42.

(2) عبد الوهاب بكر، الملاقات العربية التركية من منظور عربي، معهد البحوث والدراسات العربية ط١، ١٩٩١م، ص٣٠٧.

(3) Islam Ansiklopedesi, a.g.e. S.646.

(4) Turk Ansiklopedisi, a.g.e. S.42.

(5) Turk Ansiklopedesi, a.g.e. S.47

الخامسة والعشرين بدأ بدراسة التوراة والتلمود معاً. وتميز شاباتاي منذ صغره بالذكاء واللباقة فى الحديث والورع، وأكثر من النظافة والصوم حتى فى أوقات غير الصيام. (١)

تميز شاباتاي زيفى بمعرفته لقواعد وأصول الدين المسيحى واليهودى مما ساعده للقيام بدور النبى المزعوم، وكان يرثل التراتيل الدينية مع أصحابه وأتباعه، وبفضل معرفته للمسائل الدينية تغلب على منافسيه وخداع المقربين إليه، وسعى إلى تحريف النصوص الدينية لاستخدامها فى دعوته عن طريق الحسابات الأبجدية، حتى أنه حرف بيتاً من الشعر يقول: "حبيبي يشبه الغزال" فجعله: "ربى يشبه شاباتاي زيفى". (٢)

رابعاً: حياة شاباتاي زيفى الاجتماعية:

تزوج شاباتاي زيفى وهو صغير حيث لم يتجاوز عمره الثانية والعشرين عاماً، ولكنه طلقها بعد بضعة أشهر من زواجه، وتزوج امرأة أخرى بعدها ولم يمكث معها أيضاً إلا أيام معدودة ولم يقربها مثل الأولى. وفسر أتباع شاباتاي زيفى هذا بأنه نوع من الطهارة والتبتل، وأما شاباتاي كان يقول: أن الروح القدس أوحى إليه بأنه لم يحن زواجه من المرأة المناسبة. (٣)

فى عام ١٦٦٤م تزوج شاباتاي زيفى من قنائة بولونية تدعى "سارة" قيل: لأنها رأت رؤيا نشرتها بين اليهود وهى أن نوراً سيسطع عليها وعلى العالم عام ١٦٦٦م وسوف تتزوج من المسيح الذى سوف يظهر فى نفس العام، وشاباتاي زيفى كان شديد الذكاء فأخترق رؤيا أيضاً نشرها بين اليهود أن هذا الزواج إحدى معجزات شاباتاي زيفى (٤) وتوفيت زوجته سارة أثناء وجوده فى ألبانيا، فتزوج امرأة اسمها "يوهيفيد" وهى من يهود سلانيك، ولكنه غير اسمها إلى عائشة. (٥)

(١) هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة ١٦٤٨ إلى نهاية القرن العشرين، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٢، ص ٢٧٤.

(٢) مصطفى طوران، يهود الدونمة، ترجمة كمال خوجه، دار السلام، بيروت، ١٩٧٧، ص ٧.

(٣) أحمد نورى النعيمي، يهود الدونمة، ص ١٣.

(٤) مصطفى طوران، يهود الدونمة، ص ١٠.

(٥) هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة فى تركيا، ص ١٤.

لم يعرف زيفى الاعتدال الجنسى فى حياته، حيث زنى بزوجة صديقه
"رافائيل جوزيف" الصراف اليهودى أثناء إقامة "زيفى" فى مصر.^(١)
كان "زيفى" شغوفاً باستقبال النساء على وجه الخصوص بعد إدعاء النبوة،
وعندما جرت له مراسم لبس التاج فصار يستقبل رواده بمواعيد ومراسيم
معيّنة.^(٢)

من خلال عرض حياته الاجتماعية تبين أن "شاباتاي زيفى" رجل مزواج لا
يعرف الاعتدال الجنسى، والقول بأنه لم يقترب نسائه قول باطل؛ لأنه تزوج فى
ربعان شبابه امرأتين فى عام واحد، والقول بطهارته لكثرة استحمامه هذا شأن
كثير من الناس الذين يحبون النظافة لبدنهم وهيتهم، ولم يكن رجلاً سوياً، حيث
سلك سلوكاً بعيداً عن التبتل والطهارة وهو زنا بزوجة صديقه فى مصر.

خامساً: دعوة شاباتاي زيفى:

أعلن "شاباتاي" زيفى أنه المسيح المنتظر^(٣) وهذه الفكرة موجودة فى
المجتمع اليهودى وكانت الأوساط اليهودية القديمة تؤمن بقرب ظهور المسيح،
ولذلك صادفت دعوة "شاباتاي" زيفى تأييداً كبيراً من يهود تركيا وفلسطين ومصر
وشرق أوروبا، بل أيد هذه الدعوة كثير من اليهود المفكرين وأصحاب الأموال
لأغراض سياسية ومالية.^(٤) شرع "شاباتاي" زيفى فى التلميح منذ سن الثانية
والعشرين بأنه هو المختار، وقد خطب عدة خطب فحوت وحيه Revelation.
انتهك "شاباتاي" القانون اليهودى وطرد من جماعات يهودية مختلفة فى ١٦٦٥م،
وفى العالم التالى أعلن رسالته اليهودية للجميع فى معبد أزمير بتركيا، خالقاً
هستيريا من التوقعات. وفى ١٦٦٦م ذهب "شاباتاي" إلى القسطنطينية ليطالب

(١) إبراهيم الداوقى، فلسطين والصهيونية فى وسائل الإعلام التركية، ص ٥٨.

(٢) جعفر هادى حسن، فرق الدوئمة بين اليهودية والإسلام، ص ٣٤.

(٣) للمسيح: كلمة عبرانية معناها المطهر والكلمة فى التوراة بأخذ معانى عامة فتطلق على الملوك والأنبياء
وكل الرجال الذين يقومون بعمل دينى مقدس أما المعنى العام الخاص لهذه الكلمة فهو: النبى أو المخلص
الذى يرسله يهوه لائقاد بنى إسرائيل. انظر: محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، ص ٧٧.

(٤) أحمد نورى النعمى، يهود الدوئمة، ص ٢١.

بمملكته من السلطان العثماني، فتم سجنه في أبيدوس Abydos لكن سُمح له باستقبال زواره.^(١)

وآمن بفكرة "شاباتاي" - فكرة المسيح المنتظر - كثير من اليهود في الدولة العثمانية مثل: أهل القدس، وسلانيك، وأزمير، وبيت لحم، اعتقاداً بظهور المسيد المسيح في أواخر القرن السابع عشر الميلادي.^(٢)

واعتقد كثير من اليهود بأن "شاباتاي" هو المنقذ لليهود ولمملكة صهيون التي هي الغاية النهائية للمسيح فالتفوا حوله. ونشأت جماعة الدونمة أساساً على الإيمان بفكرة المسيح المخلص في اليهودية.^(٣)

ادعى "شاباتاي" زيفي أنه المخلص لليهود حيث صنّقه آلاف منهم، وانقادوا وراءه، وكان هذا الإدعاء سبب أزمة دينية عميقة بين اليهود، مما جعل "شاباتاي زيفي" ينفرد بجماعة مستقلة سميت بـ فرقة يهود الدونمة.^(٤)

وحينما أعلن "شاباتاي زيفي" أنه المسيح المنتظر في مدينة أزمير التركية جاء بمظلة زواج ومعه نسخة من التوراة، وبوجود مجموعة من الحاخامين المعروفين في الولاية، حيث قام بمراسيم عقد الزواج بينه وبين التوراة، مما أدى إلى اعتراض الحاخامين إلا أن "شاباتاي زيفي" برّر عمله هذا مؤكداً بأن كل من يؤمن ويعتقد بالتوراة فهو زوج لها، وادعى أن هناك إشارات في العهد القديم إلى مثل هذه المعتقدات - زواجه بالتوراة - وكان يرددوا اسم يهوه في مراسيم هذا الزواج التوراتي. نتيجة ذلك فقد أصدر الحاخامون أوامر بإخراجه من الولاية، ونتيجة لذلك فقد قام بزيارة إلى كل من مصر والقدس وأثينا، مكرراً الإدعاء بأنه المسيح وكان ذلك في عام ١٦٦٦م.^(٥)

اشتغل "شاباتاي" بدراسة النصوص الدينية اليهودية مع القيام بتفسيرها والانعكاف عليها، ووجد في الأرشيف السري للدونمة كتاب مكون من ثلاثين

(١) عبد الوهاب بكر، العلاقات العربية للتركية من منظور عربي، ص ٣٠٧.

(٢) إبراهيم الدلقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الإعلام التركية، ص ٢٠.

(٣) هدى درويش، العلاقات التركية لليهودية وأثرها على البلاد العربية، ص ٣٧٥.

(٤) جعفر هادي حسن، اليهود الحميم، دار القلم، دمشق، الدار الشامانية، بيروت ط١، ١٩٩٤م، ص ٧.

(٥) Tork Ansiklopedesi, a g.e.s.42.

صفحة في عام ١٩١٥م في مدينة سلانك. في هذا الكتاب روى "شاباتاي" بأن أربعة وعشرين ملكاً قد دخلوا إلى غرفته ليلة عيد الفصح phesah عام ١٦٦٨ بعد تغيير معتقد اليهودى إلى دين الإسلام، وخاطبوه بقولهم: أنت ملك علينا أنت بيننا وأنت مسيحنا، ووجد في نفس الأرشيف كتاب آخر بعنوان "الشهادة للاعتقاد" شرح فيه "شاباتاي" شروحا تتعلق بالمزامير التسعة عشر، ويعبر فيه "شاباتاي" عن حالة الرؤية الإلهية له في عيد phesah ١٦٦٨م، ووجد في هذا الكتاب أمور تدل على يهودية "شاباتاي زيفى"، والأوامر التي كان ينفذها من أجل اليهودية بعد إعلان إسلامه.^(١)

سادساً: تعاليم شاباتاي زيفى:

ذاع صيته في كثير من أنحاء العالم في أوروبا وألمانيا وبولندا وهولندا وإيطاليا وإنجلترا حتى أنه ولد حركة بين اليهود في إيران وأوصلهم إلى القيام بالتمرد وحتى قالوا: لقد جاء مسيحنا - شاباتاي زيفى - وعليه لن نقلب الأرض بعد اليوم - لا نزرع - ولن ندفع الضرائب لأحد^(٢). وفي مدينة أزمير التركية أخذ يلتقى بالوفود اليهودية التي جاءت من أنحاء تركيا وخارج تركيا مثل أدرنة وصوفيا واليونان وألمانيا، وقلدته الوفود تاج "ملك الملوك".^(٣)

شرح "شاباتاي" أصول دعوته لمريديه وأملى عليهم كتابا سماه "سر العقيدة الصحيحة" شرح في هذا الكتاب أصول دعوته وقال في دعوته: لا بد من الإيمان بالهين واحد للعالمين وآخر لليهود، وكان يبيث بين تلاميذه الاعتقاد بحضور الله، أو حلوله في الشعب، وهذه العقيدة تسمى باعتقاد "الشخيانه". وكان يقول: إن رب العالمين هو العلة الأولى، ومنه كان إله إسرائيل، العلة الثانية، وبنعمته - أى إله إسرائيل - كان الوجود والموجودات.^(٤)

حرض "شاباتاي" مريديه على السلطان بأن لا يذكر اسم السلطان فى خطبهم، وقام "شاباتاي" بشطب السلطان من الخطب التي كانت تلقى فى معابد

Kucuk, Abdurrahman a.g.e.s 171. (1)

Islam Aasiklopedisi, a.g.e.s.646. (2)

Turk Ansiklopedisi,a,g,e,s.42. (3)

Kucuk, Abdurrahman, a.g.e.s.171. (4)

اليهود، وجعل اسمه محل اسم السلطان، وسمى "شاباتاي" نفسه "سلطان السلاطين" و "سليمان بن داود".^(١) أملى "شاباتاي زيفي" هذا الدعاء في المعابد اليهودية في استانبول وهو "إن الذى يمنح الخلاص للملوك والحكم للأمراء، مالك الملك الأبدى الذى خلص عبده داود من السيف القاتل، الذى يعبد طرقاتاً فى البحر، ويشق سبلاً فى المياه العظيمة، هو الذى يبارك ويحفظ ويرعى إلى الأبد سيدنا ومسيحنا، مبارك رب يعقوب الأمد، والأيل السماوى، مسيح العدل، ملك الملوك، السلطان "شاباتاي". ليحفظه الملك الأكبر ويمنحه حياة، وليرعه، ويرفع نجمه، ومملكته، ويجعل قلوب الملوك والأمراء تتجه نحوه ونحونا ونحو إسرائيل بالخير أمين" حل هذا الدعاء محل الدعاء للسلطان العثمانى.^(٢)

لما علم السلطان بما حدث من زيفي سجنه فى "غاليبولى" - إحدى الولايات التركية - فتوجه الكثيرون من أهالى "غاليبولى" لزيارة "زيفي" بأعداد كبيرة، وكان يشرح لهم التلمود أثناء زيارتهم له، وقد فهم هؤلاء الناس أن السلطان قد ترك "زيفي"؛ لأنه هو أيضاً اقتنع بأنه المسيح المنتظر بدليل أنه لم يفعل بـ زيفي شيئاً والنتيجة أنه ازداد عدد أتباع "شاباتاي زيفي".^(٣)

أصبح "شاباتاي زيفي" مصدراً للإزعاج فى الدولة العثمانية؛ نتيجة لادعاءاته، وخاصة فى سلانيك وأزمير. فألقى القبض عليه، وبقي فى سجنه فى استانبول لأكثر من شهرين، ثم إلى سجن "غاليبولى"، ثم حوكم فى مدينة أدرنة، وشكلت له لجنة علمية إدارية لمحاكمته تتكون من الرئيس: وهو الصدر الأعظم، والأعضاء: وهم إمام القصر وشيخ الإسلام فى ذلك الوقت "بحيى أفندى زادة"، وواحد من كبار العلماء. أنكر "شاباتاي زيفي" التهم الموجهة إليه - المسيح المنتظر وغيرها ... - وعرض السلطان "محمد الرابع" عليه الإسلام، فاعتنق

Turk Ansiklopedisi, a.g.c.s.42.

(1)

(2) هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة فى تركيا، ص ٢١.

(3) أحمد نورى النعيمى، يهود الدونمة، ص ٢٨.

"زيفى" الإسلام؛ لأنه أحس بخطر الموت، فاعتنق الإسلام وتسمى باسم "محمد عزيز أفندى". (١)

دخل شاباتاي زيفى فى الإسلام خوفاً من الحكم عليه بالإعدام، وطلب من السلطات العثمانية أن تسمح له بدعوة اليهود إلى الإسلام، فأذنت له وانتزها فرصة فانطلق بين اليهود يواصل دعوته وتعاليمه على أنه المسيح المنتظر، وحثهم على ضرور تجمعهم معلنين الإسلام فى الظاهر ويهوديتهم فى الباطن، ثم سميت فرقة زيفى وأتباعه جماعة الشبتانية نسبة إلى اسمه "شاباتاي". (٢)

ثم قام مرة أخرى بنشر تعاليمه إلى جماعته قائلا: "أنا أخوكم محمد البواب، هكذا أمرنى فامتثلت، لقد ذكرت اليهودية المقدسة بأن المسيح سيتبع من قبل المسلمين". (٣)

وبعد أن اعتنق "شاباتاي زيفى" الإسلام، كان على أتباعه أن يختاروا أحد الطريقتين: أولهما: أن يبقوا على يهوديتهم ويمارسوا جميع أحكام الشريعة اليهودية ويكون ذلك جهاراً. وثانيهما: أن يصبحوا مسلمين فى الظاهر مثل "شاباتاي" ويمارسوا واجباتهم الدينية اليهودية فى الخفاء، والإسلامية يمارسونها فى الجهر ثم اختاروا الثانى. وظل "شاباتاي زيفى" وأتباعه يمارسون شعائرهم اليهودية سرّاً، ويظهرون الإسلام أمام الأتراك، وكان زيفى يقول لأتباعه: إنه كالنبي موسى الذى اضطر أن يبقى مدة من الزمن فى قصور الفراعنة. (٤)

(١) مصطفى طوران، يهود الدونمة، ص ١٤. وأحمد نورى النعيمي، لليهود والدولة العثمانية، ص ٤٣.

(٢) محمد على قطب، يهود الدونمة، دار الأنصار للنشر، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٢٣، ٢٤.

(٣) رجال الدين اليهودى سعوا بإسلام شاباتاي زيفى؛ لأنه خلط بين اليهودية الحقّة وادعائه الكاذب، وسبب فرحتهم الكبرى أن اليهود أنقذوا من التمزق بوجوده كما يزعمون. انظر: مصطفى طوران، يهود الدونمة ص ١٧.

(٤) أحمد نورى النعيمي، يهود الدونمة، ص ٤١.

ألقى القبض على "زيفى" داخل المعبد بسبب وجوده مرتدياً زياً يهودياً ينشد الأناشيد اليهودية محاطاً بنساء ويشرب معهن الخمر، ويقرأ معهم أيضاً المزامير مع كثير من اليهود.⁽¹⁾

وقبض عليه وألقى إليه الاتهام بخروجه من الإسلام إلى دين آخر، ولكن أنكر ذلك. وقضت المحكمة بإعدامه، ولولا تدخل شيخ الإسلام لأعدم "زيفى"، وسبب تدخل شيخ الإسلام واعتراضه على إعدام زيفى هو أنه لو أعدم هذا المحتال سيكون سبباً لحدوث خرافة في الإنسانية حيث يدعى مريدوه بعروجه إلى السماء كـ عيسى - عليه السلام - فاستجابت المحكمة لرأى شيخ الإسلام، واكتفى بنفيه إلى مدينة "نولسجنو" في ألبانيا عام ١٦٧٣م.⁽²⁾

ومن منفاه ظل يرسل إلى مريدبه تعاليمه يقول فيها: إلى إخواني الأحياء أصحاب العقيدة - يقصد عقيدة اليهود - الذين اختيروا لرؤية الخلاص الذي يرسله الإله سيظهر مملكة صهيون، وإني سوف أرسل لكم من يخبركم عن مجدى.⁽³⁾

عاش "زيفى" في المنفى الألباني حياة عزلة، إلا أنه بقى على اتصال مع مؤيديه ومريدبه في استنبول وسانليك، وعاش في ألبانيا مدة خمس سنوات، وتوفى في عام ١٦٧٥م عن عمر يناهز تسعة وأربعين عاماً، ودفن في ألبانيا.⁽⁴⁾

سابقاً: أسباب إدعاء زيفى أنه المسيح:

لما بلغ "شاباناي زيفى" من العمر ثمانية عشر عاماً أصبح حاخاماً مؤهلاً لأن يكون من رجال الدين الذين لهم كلمة مسموعة، وحصل على مرتبة الأستاذية في نفس العام.⁽⁵⁾

يرجع البعض إن زيفى ادعى أنه المسيح المنتظر لأسباب عدة هي:

١- تمتع زيفى باللباقة والذكاء.

(1) Islam Ansiklopedisi, a.g.e.s.647.
(2) Turk Ansiklopedisi, a.g.e.s.42.
(3) Islam Ansiklopedisi, a.g.e.s.647.
(4) a.g.e.s.647.

(5) جعفر هادى حسن، فرق الدونما بين اليهودية والإسلام، ص ٣٤.

- ٢- لفت انتباه الناس بكثرة اغتساله وصومه في أوقات غير أيام الصيام.
- ٣- التفاف عدد من الناس حوله يسمعون له.^(١)
- ٤- معرفته لقواعد الدين اليهودي وأصوله.
- ٥- حالات الغيبوبة التي كانت تنتابه كان يفسرها بأنها بالانجذاب الروحي.
- ٦- كان يرتل التراتيل الدينية بصوت حسن فيؤثر في أتباعه بصوته.
- ٧- عبقريته في التغلب على مناقشيه في المسائل الدينية، وخداع المقربين إليه.
- ٨- حرّف زيفي النصوص الدينية لاستخدامها لصالحه في وعظه لليهود، ثم استخدامها لجذب أتباعه بعد ادعائه أنه المسيح.^(٢)
- ٩- إدعاء زوجته "ساره" قبل زواجها منه بأنها رأت رؤيا نشرتها بين اليهود تقول فيها: "أن نورا سيسطع عليها عام ١٦٦٦م وستزوج من المسيح الذي يظهر في ذلك العام. واختلق زيفي رؤيا بأنه أوحى إليه بالزواج من فتاة "بولونية" وكانت ساره من أصل "بولوني" تعيش في منزل أخيها في امستردام. وقد عد اليهود هذا الحديث معجزة من معجزات زيفي.^(٣)
- ١٠- قراءة "شاباتاي زيفي" عن الأدبيات اليهودية، وأن فكرة المسيح المنتظر كانت شائعة في الأوساط اليهودية القديمة^(٤) استغل زيفي هذا لصالحه وادعى ذلك.^(٥)
- ١١- ادعى زيفي أنه المسيح المخلص، وأكثر من حبه لنصرة اليهود والمضطهدين في العالم وإعادة الهيكل المقدس لابد أن تكون على يد

(١) إبراهيم الداوقى ، فلسطين والصهيونية في وسائل الإعلام التركية، ص ١٩.

(٢) هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية، ص ٣٨١.

(٣) مرفوق بنى المرجة، صحوة الرجل المريض والخلافة الإسلامية، الكويت ، ١٩٨٤م. ص ٢٤٣.

(٤) ادعى عدد من اليهود أنهم للمسيح المنتظر من بينهم: ثيوداس عام ٤٤م ، وفي عام ٥٢م، ادعى رحل يهودى مصرى أنه المسيح. وفي القرن الثلثي الميلادى زعم باركاخيا نفس الأمر، وأيضاً سرفيدوس عام ٧٢٠م، وأبو عيسى عوينيا عام ١١٢٧م، وأبراهام أبو العافية عام ١٢٨٤م، "وأثر لاملن" من فينسيا عام ١٥٠٢م، ودلاد الروويينى من يهود العرب فى القرن السادس عشر. لنظر جعفر هلاى حسن، يهود الدونما، ص ١٦، ٢٨.

(٥) جولد رفعت أتلخان، أمرار المامونية، ترجمة نور الدين رصا، وسليمان محمد أمين، بدون تاريخ، ص ١٠.

المسيح المنتظر. ومن أجل ذلك شجع على الهجرة إلى فلسطين، وأنهم سوف يساعده على قيام دولة لهم.⁽¹⁾

قد تكون كل هذه الأسباب أو البعض منها سببا في ادعاء شاباتاي زيفي بأنه المسيح المنتظر. ولم يفعل ذلك إلا رجل ذو نكاه وفهم بمن حوله من الناس. ففهم ما يحتاجه اليهود، وكيف يجذب الناس إليه ومن هذه المواقف حقق هدفه.

ثامناً: الأوامر الثمانية عشر لـ شاباتاي زيفي:

انحصرت أوامر "شاباتاي زيفي" في ثمانية عشر أمراً لأتباعه، وهذه الأوامر هي:

- ١- الإيمان بوحدة الله.
- ٢- الإيمان بمسيحية شاباتاي.
- ٣- تجنب القتل وشهادة الزور والزنا.
- ٤- الإيمان بالدخول في الإسلام.
- ٥- الزواج بالمسلمين.
- ٦- الاهتمام بأمور الخير.
- ٧- الرعاية الظاهرية للعادات الإسلامية.
- ٨- احترام الأيام الأولى للشهور الهجرية.
- ٩- مواصلة قراءة المزامير بشكل سرى يوميا.⁽²⁾
- ١٠- منح نصف الميراث للمرأة.
- ١١- إطاعة الرئيس إطاعة تامة - أي رئيسهم الدومني - وتمييز أنفسهم عن أي شخص.
- ١٢- إجراء الختان حسب التقاليد اليهودية.

(1) مصطفى طوران، يهود الدونما، ص ٥، وانظر: محمد حرب، يهود الدونمة، ص ٤٣.
(2) Islam Ansiklopedisi, a.g.e.s.648-649.

- ١٣ - الإخلاص للعبادات والطقوس اليهودية.
- ١٤ - عادة ذبح الخروف وأكل لحمه فى اليوم الأول من السنة اليهودية "ذكر فداء" اسحاق - عليه السلام - على حد زعمهم.
- ١٥ - لابد للدونمى أن يلتحقى.
- ١٦ - قراءة الأدعية بالعبرية والأسبانية واللاتينية.
- ١٧ - عدم الطلاق.
- ١٨ - عدم الذهاب إلى المساجد. (١)

تاسعاً: أدعية يهود الدونمة:

أدعية يهود الدونمة التى نشرها أحد أتباعهم A. Dnon تتضح أنها لا يفهمها إلا القليل منهم، وهى بلغة مركبة من اللاتينية والأسبانية المسماه بـ "اللاينو"، وكثير من مستندات الدونمة كانت تكتب باللغة العبرية. (٢)

وكتب الأدعية ليهود الدونمة مخطوطة وذات أحجام صغيرة، وقد حصلت مكتبة الجامعة الإسرائيلية فى القدس على قسم منها عام ١٩٣٥م. ومن هذه الأدعية على سبيل المثال: "أؤمن إيماناً كاملاً وجازماً بأن شاباتاى زيفى هو الملك الحقيقى، وهو الذى سيجمع بنى إسرائيل المنتشرين فى الجهات الأربع للنديا" ومن توصيات زيفى ليهود الدونمة "لزم عليكم الانتباه بدقة إلى عادات المسلمين وتقاليدهم، وعدم كشف أسرارهم الدينية لهم، وأن لا تؤمنوا بشيء إلا عن طريق مشاهدتكم له، حتى وإن تعرضت حياتكم للموت". (٣)

وأول هذه الأدعية اكتشفت بين أعوام ١٨٧٥ - ١٨٧٧ م، وكان هذا الدعاء موجوداً فى جيب أحد يهود الدونمة وقد تركه فى جيبه عند خياط فى سلانك وهو يرقع الثوب، ووجد فى مدرسة البنات فى سلانك عبارة فى كراسة بعض

(١) Kucuk, Abdurrahman, a.g.e.s.203.

(٢) Islam Ansikl opedisi, a.g.e.s.647.

(٣) Tanyu,Hikmet, Tarih Boyonca Yahudiler ve Turkler Briinci cilt Ikinci, Is, 1979. s. 162.176.

التلميذات تحمل بسملة باسم شاباتاي زيفى كتبت بالعبرانية واليهودية ووجدت هذه العبارة فى داخل دفتر أكثر من طالبة. (١)

ومن أدعيتهم أيضا: "فليقبلونى بأفواههم، فإن حبك أعظم من الخمر، إن زينتك عطر، إن حبك زيت مصبوب، وعليه فإن العذارى يحبينك" (٢)

عثر مؤرخ تركى عام ١٩١٥م فى مكتبة يهود الدونمة فى مدينة سلانك على عدد من مخطوطاتهم من بينها ما يقرب من أربعين من الأناشيد الشعبية، وهى لا تختلف عن أدعية اليهود فى معابدهم سوى أن الدونمة بمجدون كثيرا مؤسس جماعتهم شاباتاي زيفى. (٣)

عاشراً: ذكرى فداء إسحاق عند يهود الدونمة:

من عادة يهود الدونمة ذبح الخروف وأكله فى اليوم الأول من السنة اليهودية المسمى عندهم ذكرى فداء إسحاق - على حد زعمهم - وعادة أكل الخروف فى ٢٢ آذار من كل سنة كانت موجود قبل ذلك.

وعند الدونمة لا يؤكل لحم الخروف فى أول كل سنة يهودية إلا بعد إجراء الطقوس الخاصة بذلك اليوم، ومن يأكل لحم الخروف فى غير أوانه يكون معرضاً للهلاك والموت طوال ذلك العام - على حد زعمهم - وبعد أكل لحم الخروف يبدأ اللهو، وأثناء الليل تطفأ الأنوار ويبقى الجميع فى ظلام دامس، وعندهم كل مولود يولد فى هذه الليلة يعد مولوداً مباركاً. (٤)

ويذكر أحد أتباعهم عام ١٩٢٥م أن الاحتفال باطفاء النور ما يزال مسن العادات المتبعة لدى يهود الدونمة وأن عائلته إلى عهد قريب كانت تمارس هذه العادة - ذبح الخروف - ولكنه لم يشترك فيها لكونه عزب - غير متزوج -

Islam Ansiklopedisi, a.g.e.s.647.

(1)

(2) مصطفى طوران، يهود الدونمة، ص ٣٢.

(3) أحمد نورى النعيمى، يهود الدونمة، ص ٥٦.

(4) مصطفى طوران، يهود الدونمة، ص ٣٤، وعبد المنعم الحفنى، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص ١٠٢.

وحيثما أراد أن يحضر أحد احتفالاتهم منع وقيل له: إن هذا الاحتفال للمتزوجين فقط^(١)

وكان الاحتفال يكون ببعض الآلات الموسيقية، وأبدل هذا الاحتفال في القرن العشرين بدجاجة سوداء بقطع رأسها، وهي الآن تقوم مقام ذبح الخروف^(٢) ويسمى هذا العيد -عيد الدونمة- بمسميات عدة منها عيد ذبح الخروف، وعيد إطفاء الشمعة، وعيد ذكر فداء إسحاق، لأنه في اعتقادهم أن إسحاق-عليه السلام- هو المقصود بالفداء، وليس إسماعيل -عليه السلام ولكن الصحيح والثابت أن الفداء كان لإسماعيل وليس لإسحاق؛ ولكنهم يريدون أن يثبتوا أن الفداء كان لإسحاق بداية النسل لبني إسرائيل الذي جاء من نسله يعقوب.

(١) مصطفى طوران، يهود الدونمة، ص ٧٢.

(٢) مصطفى طوران، يهود الدونمة، ص ٢٨.

المبحث الثالث: فرق يهود الدونمة:

بعد وفاة زيفى تولى ابنه برخيا Berechja رئاسة جماعة الدونمة وقسموا بعبادته لكونه المسيح المنقذ، وأن الرب قد تجسد فيه، وأطلقوا على أنفسهم اسم المؤمنين بينما أطلق عليهم اليهود اسم "مينيم". وتنقسم يهود الدونمة إلى ثلاث فرق هي:

اليقوبيون - القراقشية - القابانجية

أولاً: اليقوبيون:

اليقوبيون Yakubler يسمون أنفسهم أيضاً ترابوسلو Trapuslu، وهؤلاء يطبقون كثيراً من أوامر زيفى منها: العناية الواضحة بالتقاليد التركية الإسلامية مثل العبادات كالصلاة. وسميت هذه الفرقة "يعاقبة" نسبة إلى زعيم هذه الطائفة يعقوب جلبى، وقسم فرقة إلى قسمين: الأغنياء والفقراء، واجتمع يعقوب جلبى بوجهاء القوم من يهود الدونمة فى بيت "شاباتاى زيفى" بسلانك، وأراهم رسالة "زيفى" التى عين فيها يعقوب جلبى رئيساً لفرقة. (1)

كان لهذه الفرقة زى خاص بهم، وكان الرجال يحلقون شعرهم بالموس، أما النساء فعليه أن تضفرن شعرهن. ولا يحق للرجال الانفصال عن تقاليدهم القديمة، وكان رئيسهم يربط لفافا لونه أبيض على عنقه؛ ليميز للداخل عليه. (2) وطلب يعقوب جلبى من فرقة مراعاة عادات المسلمين الظاهرة، حتى أنه ذهب إلى الحج لتغطية يهوديته وتوفى هناك قبل رجوعه إلى تركيا. (3) ولهذه الفرقة أفكار وشرائع منها:

١- أنه يجوز الطلاق للرجل أكثر من مرة بخلاف "زيفى" الذى حرم الطلاق.

٢- المطالبة باتباع الشعائر الإسلامية ظاهرياً.

Tanyu, Hikmet, a.g.e.s.167.

a.g.e.s.167.

Islam Anisklopedisi, a.g.e.s.648.

(1)

(2)

(3)

٣- الزم رئيس هذه الفرقة النساء بأن تلبسن ملابساً بيضاء؛ لتتميزن عن باقى الفرق الدونمية الأخرى.

٤- إجراء الختان حسب العادات الإسلامية.

٥- الزواج من مقدسات الجماعة، ومعرفة أسرارها تبدأ بالزواج.

٦- الإبقاء والإخلاص للعبادات والطقوس اليهودية.^(١)

٧- عدم ارتداء المرأة الحجاب مثل المملمات.

٨- عدم الاختلاط بالغرباء خارج نطاق القبيلة.

٩- زواج الغرباء يشترك الآخرون فى ميراثه، فتتشتت بذلك أمواله، ولذلك

يحذر الزواج من الفقراء، والزواج خارج فرقة اليعاقبة.^(٢)

ثانياً: القراقاشية:

القراقاشية يسمون بـ Karakaler أى أصحاب الأنوف الفطمساء وقيل قراقاشية تعنى "نو الحواجب السود" وتنسب هذه الفرقة إلى رئيسها مصطفى جلى وهم من جماعة اليعقوبيين، ولكنه انفصل عنهم سنة ١٦٨٩م ويشكلون الأكثرية، وخالفوا الفرقة السابقة فى أمور منها: أنهم لا يرون ضرورة بأن تراعى التقاليد الإسلامية التركية، ولهذا انفصلوا عن الأولى فسميت الفرقة بـ "القره قاش" والمؤمنين أو حزب عثمان بابا.^(٣)

قام أحد جماعة القراقاشية ويدعى "رشدى قره قاش زاده" على نشر بعض أسرار جماعته التى ينتسب إليها عن طريق مجموعة من المقالات، ولقاءات شخصية نشرت فى صحيفة "الوقف" التركية.^(٤)

Tanyu, Hikmet, a.g.e.s.178.

Islam Anisklopedisi, a.g.e.s.648.

Tanyu, Hikmet a.g.e.s.172

a.g.e.s.173.

Kuauk, Abdurrahman, a.g.e.s.207

(1)

ونظر

(2)

(3)

(4)

ويشرح "رشدی زاده" كثيراً من المعلومات عن جماعة الدونمة وخاصة فرقة القراقاشية حيث يصفهم بالجهل. وهم يهود من الناحية الفعلية، ويتلون أديعتهم باللادينو وهم محافظون على عاداتهم وتقاليدهم اليهودية، ويذهبون إلى المعابد بمواظبة تامة كل أسبوع تاركين العادات التركية الإسلامية.^(١)

وإطلاق لفظ "عثمان بابا" على فرقته نسبة إلى أحد رؤسائهم "عثمان بابا" الذي رفع إلى مرتبة الألوهية من قبل جماعته. وبعد أن منع العثمانيون استخدام لقب أغا سمي "عثمان أغا" بـ "عثمان أوغان" وعين وكيلاً لزيفى عام ١٧٠٢م وممثلاً له ، وبعض انفصال فرقة القراقاشية عن فرقة اليعاقبة أحس "عثمان أوغان" بإيجاد بعض المعتقدات التي تخالف القراقاشية فأوجد خرافات سرية لكي تتمسك فرقته به، ويعدّها عن القراقاشية.^(٢)

واتبعت طائفة القراقاشية أوامر "شاباتاي زيفى" فى تربية الأطفال الدونميين فكانوا يربون كأتراك ومسلمين ، إذ لا يكشف أسرار الجماعة للأطفال قبل زواجهم ، وبعد زواجهم يعرف كل معتقدات جماعة الدونمة.^(٣)

ثالثاً: القابانجية:

هى طائفة متفرعة من اليعاقبة والقراقاشية وسميت بطائفة أو جماعة hapanciler popular "إبراهيم أغا" ويعتقد هؤلاء أن رئيس طائفة القراقاشية عثمان أغا لم يكن مسيحياً ، واختلفوا فى مسألة المسيح وانحلاله ونتيجة ذلك ظهر الاختلاف بينهم واستقلت بفرقة منتسبة إلى "شاباتاي زيفى"^(٤)

وانفصلت جماعة "القابانجية" عن جماعة "اليعاقبة" عام ١٨٢٠م بعد أن عارضوا "عثمان أغا" وقد حافظ "القابانجية" على المعتقدات والطقوس الباقية من

Tany, Hikmet, n.g.e.s. 178.
a.g.e.s.75.

(1)

(2)

(3) هدى درزيش، العلاقات للتركية اليهودية، ص ٣٩٧.

(4) مصطفى طوران ، يهود الدونمة، ص ٢٤.

زيفى" ، وأقام "إبراهيم أغا" رئيسهم مجلسا لإدارة شؤون الدونمة، ومن أفكارهم
وشرائعهم :

١- عدم الزواج بنساء غريبات عن فرقة الدونمة.^(١)

٢- يفضل الزواج من داخل فرقة "القابانجية" للمحافظة على أسرارهن.

٣- وجوب عدم الاختلاط بالعنصر التركي.

٤- يؤمنون بأن زعيمهم مثل زيفى فى انحلال جسده.^(٢)

حدث نزاع بين الطوائف الثلاث خلال مدة قرنين من الزمن؛ استمر حتى
نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، إلى درجة أن أفراد هذه الطوائف الثلاث
تجنبوا إقامة أية علاقة ودية بينهم، وكانوا يكونون الحقد والكراهية بعضهم لبعض .
وقد بلغ من الخلاف بينهم إلى حد كانوا يحرمون شراء أية مادة غذائية من طائفة
أخرى والعامل المشترك بينهم ينحصر فى بعض الأوامر الثمانية عشر
لـ "ساباتاي زيفى". ووصلت أعيادهم إلى ما يقرب أكثر من اثنى عشر عيداً^(٣)

ولهذه الطوائف الثلاث مراسيم مثل: الزواج والطلاق والختان ويقوم بها
من يتقلد منصب الرئيس، ويشترط فى الرئيس أن يكون من أسرة نبيلة تسمى
"النسل الشريف" ويختار من قبل كبار الجماعة، ويواصل الرئيس مهمته حتى
الموت ، ويدير هؤلاء الرؤساء الأوقاف المقامة لرعاية المحتاجين والمبالغ المالية
التي تجمع لهؤلاء، وكان لهم أوقاف خاصة مثل المسلمين.^(٤)

Tany , Hikmet , a.g.e.s. 176.

Islam Ansiklopedisi, a.g.e.s.649.

a.g.e.s.649.

(١) الوقت: اسم مؤسسة دينية اجتماعية لعبت دورا هاما فى منتصف القرن السابع الميلادى ، وحتى نهاية القرن التاسع
عشر الميلادى واعتدت المؤسسات التعليمية الإسلامية والصوفية على الوقت لأنها مؤسسة توجه رأس المال لنفع
للناس فى سبيل الله ، ونفع الحضارة الإسلامية والاختراعات التى تولكبها، ونظام الوقت يرجع إلى اللوزع الدينى،
وأخذ اليهود هذا للنظام من المسلمين وليس من اللوزع الدينى ولكن لحماية أنفسهم اقتصاديا وخدمة بنى جنسهم من
اليهود والموجودين فى تركيا. انظر: أحمد عبد الوهاب عبد السلام الشرقاوى، دور الوقت فى تركيا ، رسالة
ماجستير منشورة ، جامعة الزقازيق ، معهد الدراسات الآسيوية عام ٢٠٠٣م ص ٤ ، ٥ .

ويقوم الرؤساء بقراءة التوراة وحفظ كتابهم المسمى بـ "الزواهر" أو "زوهار"، ويتعلمون العبرانية والأسبانية بجانب اللغة التركية.^(١)

وهذه الطوائف الثلاث يحرمون زواج بناتهم من مسلمين، بينما يجوز للرجل أن يتزوج مسلمة؛ ولا يجوز للمرأة الزواج من طائفة غير طائفتها المنتسبة إليها، والذين يخالفون هذه التعاليم يعدون خارجين على أوامر الفرقة.^(٢)

هذا هو التقسيم العام لجماعة يهود الدونمة، ولكن بعض المؤرخين لهذه الجماعة قسموهم تقسيمات أخرى.

قسمهم يشار قوطلواى إلى ما يلي:

١- الأزميريون: نسبة إلى يهود الدونمة القاطنين بمدينة أزمير التركية، ومن هؤلاء مجموعة تعيش الآن فى الرملة بفلسطين.

٢- اليعقوبيون: وهم الذين يعدون "يعقوب كواريدو" مسيحا.

٣- فريق لا يعتقد بجدية اهتداء شاباتاي زيفى، ولكنهم اتبعوا طريقتين أحدهما التظاهر بالإسلام والثانية اتباع التعاليم اليهودية فى الخفاء.^(٣)

أما الكاتب جى.تى.بند J.T.BEND فقسمهم إلى ما يلي:

١- الأزميريون: الذين يعرفون "شاباتاي زيفى" أول ظهوره فى مدينة أزمير التركية وعددهم أكثر من ألفين، ولهم أسماء متعددة يعرفونها فيما بينهم منها: اسم "كروايو" KARWAY أو "الكواليرو" CAWALIEROS بمعنى الموافقون السابقون، أو السابقون، وهم الحرس القديم لزعيمهم زيفى، وهذه الفرقة تضم الطبقة الغنية.^(٤)

Islam Ansaiklopedisi, a.g.e.s. 649.

(١)

(٢) أحمد نورى النجمي، يهود الدونمة، ص ٦٤.

(٣)

Tany, Hikmet, a.g.e.s. 178.

(٤) أحمد نورى النجمي، يهود الدونمة، ص ٦١، ٦٢ نقلا عن الموسوعة اليهودية.

٢- اليعقوبية أو أتباع الزعيم الدونمي "يعقوب كواريدر" شقيق زوجه "شاباتاي زيفي"، وعدد هذه الفرقة أربعة آلاف شخص.

٣- فرقة "كونيوس" KUNIOSES وهم أتباع "عثمان بابا" وعددهم أكثر من ثلاثة آلاف شخص، وكان "يعقوب كوينو" أو "عثمان بابا" يعمل ساندنا بالمعبد اليهودي في تركيا في نهاية القرن الثامن عشر.^(١)

أما دانون DANON يقسمهم إلى الآتي:

١- يهود الدونمة ذو القبعات: وهؤلاء يلقون رؤوسهم بشكل خاص كالعمامة.

٢- KAVLIOROS كافلور: وهؤلاء يميزون بأنوفهم القصيرة والقطماء.^(٢)

ففي التقسيم الآخر لـ دانون DANON يقسمهم بما يميزهم، كما يفعل علماء الاجتماع بالنسبة لشكلهم الخارجى وما يلبسونه، وما يتميز به الشخص من صفات خلقية. وتقسم "بشار قوظلواي" يتفق مع التقسيم العام لجماعة الدونمة، إلا أنه لم يذكر جماعة "القابانجية". ويتفق تقسيم t.j.bend أيضا مع التقسيم الأول إلا أنه غير مسمى لفظ "القابانجية" بمسمى "كونيوس".

(١) احمد نور التميمي، يهود الدونمة، ص ٦٠.

(٢)

المبحث الثالث: الكتب المقدسة لدى يهود الدونمة وعقائدهم:

أولاً: الكتب المقدمة لدى الدونمة:

يعتبر كتاب "الزهر" من الكتب التي يقدسها يهود الدونمة. والزهر معناه "النور" فهو مجموعة شروح وتعليق على أسفار موسى الخمسة يتخللها زوائد كثيرة أطلق على مجموعها اسم "سود" أي "سر" وسميت "هقبلة" أي "التقاليد الموروثة"، وهي عبارة عن مزيج غريب من الأفكار الخيالية الوهمية بشأن اللاهوت والروح وما وراء القبر وهي تجانس آراء الكتبة، الذي يجمعهم عند النصراني اسم "ميستيك" أي "الأسراريين".^(١)

ويسمى كتاب الزهر - كتاب الإشراق - وهو عقيدة "القبالا" المنسوبة إلى المتصوفة، والاسم العبراني "زهر"، وظهر في القرن الثالث عشر الميلادي في أسبانيا، وهو مليء بأخبار خلق العالم، وطبيعة الله، والمعاني الباطنية في التوراة، والرموز الخفية في كل حرف وكلمة، مما يظهر أسرار الوجود وعلل الكون، ويعتقد أن واضعه الربى "سمعان بن يوشاي"، في القرن الثاني الميلادي، وأما أعداء "سمعان" المخالفون فيقولون: إن هذا الكتاب موضوع ومزور، وكان وقد وضع في القرن الثالث عشر الميلادي.^(٢)

وعن سبب تسمية الكتاب باسم "الزهر" قيل: لأنه يبتدىء بعبارة "فيهمسكليم يزهيرو كزهور هرقيع" التي تعنى ترجمتها "سيستير أرباب التفكير كنور السماء" وهذا ما جرى عليه المؤلفون الأقدمون في تسمية الكتب مثل تسمية "سفر التكوين" بـ "سفر البدء"؛ لأنه يستهل بهذه اللفظة وقيل: أن الزهر كان ضائعا فلم يعثر عليه كغيره من الكتب المنوه عنها في التوراة والتلمود، فلم يعثر عليه إلا بعد زمن موسى بن ميمون (١٢٠٤ م) الذي لم يكن يعرفه.^(٣)

(١) التلمود، ترجمه عن العبرانية، شمعون مويال - دار الثقافة للنشر، القاهرة ط١، عام ٢٠٠٤ م، ص ١٧١.

(٢) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، مجموعة الأجزاء الأربعة، ج٤، ط٤، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، عام ١٩٩٦ م، ص ٥١٦.

(٣) التلمود، شمعون مويال، ص ١٧٥.

انتشر كتاب الزوهر في المجتمع اليهودي، وأقبلوا عليه لغرائبه وشموله على الشعور الصوفي، فوجدوا فيه متنفساً لآمالهم، وتمثل في التصوف اليهودي المسمى بالقابالا^(١).

وكتاب التلمود من الكتب المقدسة لدى الدونمة، ولكن زيفى اجتنبته تعاليم القابالا حيث درس الزهد. وجعل الزوهر من الكتب المفضلة لديه وبهذا اتبعه مريده^(٢).

والسؤال هنا: هل كتاب الزوهر من التلمود؟ أو هل هو جزء منه؟

الجواب: اسم الزوهر لم يرد في التلمود قط، ولكن بعض اليهود يقدسونه، حتى إن الإسرائيليين في الجليل لم يزالوا إلى عهدنا هذا يقرنون اسمه بالإجلال والتعظيم، ويعدون له في كل عام عيداً مخصصاً يعرف باسم "قبولت ربي شمعون" ويحجون فيه إلى قبره من أطراف المعمورة^(٣).

كان "شاباتاي زيفي" مؤمناً بالتصوف اليهودي القبالي، وقد دونت القابالا وأسرارها ورموزها في وثيقتين عبريتين هما: السفر جزيرا، والسفر زوهار^(٤).

والقبالا: نهج غيبي لتفسير العهد القديم، وقد نشأ هذا الاتجاه المتصوف لدى اليهود في نهايات فترة الهيكل الثاني، غير أنه لم يتطور إلا في القرنين الثاني والثالث الميلادى، إذ تأثر خلال هذين القرنين بكثير من التصورات الغيبية، ولكن حركة التصوف اليهودي لم تصل إلى ذروتها إلا في القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلادى. وتفسر هذه الحركة على أنها معتقد ديني على أسس

(١) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، ج ٤، ص ٥١٦.

(٢) إبراهيم الدلقوى، فلسطين والصهيونية ووسائل الإعلام التركية، ص ١٩.

(٣) التلمود، شمعون مويال، ص ١٧٢، ١٧٤.

(٤) جولاد رفعت لئخان، أسرار الملمونية، ترجمة نور الدين رضا، «إيمان محمد أمين»، بدون تاريخ، ص ١٠.

أسطورية وقصصية تعتمد على الأساطير الواردة في التلمود ، وتتمحور هذه الأساطير حول قضايا الألوهية والكون ومصير اليهود.⁽¹⁾

ويدعى القباليون بأن كتاب التكوين عندهم مستمد من موسى، وموسى اتخذ من إبراهيم إذا لم يكن من عهد آدم أو أقدم ، وكتاب الزوهر يرجع عندهم إلى عصر أحدث.⁽²⁾

وذكرت بعض المصادر أن القبالا تشير إلى المؤامرات الخفية وحبك السانس المليئة بالظلام فى كثير من معتقداتها، وأفعالها غير المفهومة.⁽³⁾

وجاء فى الموسوعة اليهودية الجديدة أن القبالا: هى مصطلح عبرى يعنى التقليد أو الاستسلام والانقياد . والقبالا هى تعاليم فلسفية منتقلة من جيل إلى آخر تطلق على مجموعة مهمة من الفلسفة والممارسة الصوفية اليهودية وغير اليهودية.⁽⁴⁾

وكتاب الزوهر المقدس لى الدونمة يتألف من ثلاثة أقسام، أدمجت فى بعضها:

القسم الأول: عبارة عن الأقوال التى تبدأ هكذا: (قال ربي شمعون). فهذه فى اعتقادهم صحيحة لا مرأى فيها.

للقسم الثانى: هو ما أضافه مريدوه بهذه الأقوال، وكل منهم مذكور باسمه فى الفقرات التى أضافها.

القسم الثالث: ما أدخله "موسى ديبلون"، ناشر كتاب الزوهر.⁽⁵⁾

(1) التلمود ، شمعون مويال ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، وانظر: أحمد نورى النعيمي، يهود الدونمة ، ص ١٩ .

(2) هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة فى تركيا ، ص ١٦ .

(3) Tanyu, Hikmet, a.g.e.s.152

(4) أحمد نورى النعيمي ، يهود الدونمة ، ص ١٨ نقلا عن

The new Jewish Encyclopedia, op. cit. p. 258.

(5) التلمود ، شمعون مويال ، ص ١٧٥ .

وكتب زيفى كتاباً سماه "سر العقيدة الصحيحة" وهو ملخص لكتاب الزوهر،
وشرح فيه أصول دعوته وقال فيه لا بد من الإيمان بلهين واحد للعالمين وآخر
لليهود، وكتاب "سر العقيدة الصحيحة" أطلق عليه أيضاً اسم "الشهادة للاعتقاد".^(١)
وألف زيفى كتاباً آخر قيل أنه ضاع ولم يعثر عليه.^(٢)

ثانياً: عقائد يهود الدونمة:

- ١- إنهم ينكرون البعث والحساب.
- ٢- يباحية النساء على الملأ، ولهم فى تلك احتفالات جنسية جماعية، مثل ما يحدث فى ليلة ذبح الخروف.
- ٣- يقولون: أن الله قد حل فى داعيتهم زيفى، ووصل الأمر بأنهم ادعوا بأن زيفى ابن الله، وأنه هو المهدي المنتظر الذى هو عندهم المسيح المخلص، وبمجيئه تنتفى الخطيئة ولا يحتاج يهود الدونمة إلى الشريعة.
- ٤- اعتقادهم بأن "زيفى" حينما يرجع إليهم مرة أخرى بعد قيامه من قبره يتوقف الشر، ويبطل الفساد والموت ويعم السلام والعدل والرخاء سائر الأرض.
- ٥- يعتقدون بأن زيفى هو المسيح الذى يعيد اليهود إلى أرضهم فيعود الله - المقصود زيفى - إلى داره، فيفرح "زيفى" ويهود الدونمة ويملاً "زيفى" الأرض فرحاً وسروراً ويندر العسل واللبن أنحاء الأرض.
- ٦- التوراة المعروفة بتوراة موسى - عليه السلام - لا تصلح فى العصر الميخائى، لأن الأحداث تتجاوزها فهذه توراة تقوم على تخويف الكفار بالعقاب، وأساسها القول بخطيئة آدم، وجعلها أوامر ونواه وزواجر فهى لا تنفع فى العصر الحديث - على حد زعمهم - وأما التوراة الجديدة أو التوراة الفيوضية التى يفيض بها حديث شاباتاي زيفى فأساسها العصر

(١) عبد المنعم الحفنى، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، ص ١٢٩.

(٢) Kucuk, Adburrahman, a.g.e.s. 171.

الجديد هو عصر حاجات روحية وليست جسدية^(١) ومن ثم يسمى زيفى التوراة القديمة توراة الجسد أو التوراة المادية ، بينما التوراة الجديدة يكون الخطاب فيها للأرواح والقلوب.^(٢)

تعد كثير من عقائدهم مأخوذة من الاعتقاد المجوسى؛ لأنهم يؤمنون بالهين أحدهما للخير والآخر للشر، واعتقادهم متأثر بالمسيحية، وهو نزول المسيح المخلص ابن الله كما تدعى النصارى ، واعتقاد وثنى وهو إنكار البعث والحساب واعتقاد آخر يهودى وهو حلم اليهود بأرض الميعاد، وأن زيفى هو الذى سوف يسكنهم هذه الأرض. واعتقاد خاص بهم يتمثل بإنكار موسى، والإيمان بكتبهم فقط وبالتلمود ونبت كل هذه الأفكار سواء من زيفى أو مريديه نتيجة تأثرهم بتعاليم كتاب الزوهر الملى بكثير من الخرافات وعقيدة القابالا.

٧- ومن عقائدهم الموروثة عن زيفى أن المسلمين هم العدو الأكبر لـ "شاباتاي زيفى" ولجماعة يهود الدونمة.

٨- القول بالتثليث عند بعض فرق الدونمة، ويقولون: بثلاث آلهة فى إله واحد ويسمون بالمثلثين، أو القائلين بالتثليث.^(٣)

(١) المقصود بالتوراة الجديدة عند جماعة الدونمة تعاليم زيفى من خلال كتابه المعروف باسم "سر للعقيدة الصحيحة".

(٢) عبد المنعم الحفنى ، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، ص ١١٣ ، ١١٢.

(٣) عبد المنعم الحفنى ، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود ، ص ١١٢.

المبحث الرابع: علاقة اليهود الدونمة بالأديان الأخرى:

أولاً: علاقة الدونمة باليهود التقليدية:

ذاعت شهرة "شاباتاي زيفى" فى أنحاء تركيا، وخارجها فى كل من بولندا وألمانيا وهولندا وإيطاليا وإنجلترا، وشمال أفريقيا، كما أنه ولد حركة اضطراب بين اليهود فى إيران، وأوصلهم إلى القيام بالتمرد حتى قال بعضهم: "لقد جاء مسيحنا وعليه لن نقلب الأرض، ولن ندفع الضرائب".^(١)

كانت فكرة المسيح المنتظر ذائعة فى المجتمع اليهودى، وكانت الأوساط اليهودية القديمة تؤمن بقرب ظهور هذا المسيح. ولذلك صادفت دعوة "شاباتاي زيفى" تأييداً كبيراً بين يهود تركيا، بل أيدها اليهود المتتورين، وأصحاب الأموال لأغراض سيامة ومالية.^(٢)

ومن المؤكد أن جماعة الدونمة نشأت على أساس الإيمان بفكرة المسيح المخلص فى اليهودية، وعدها "موسى بن ميمون ت ١٢٠٤م" من أصول اليهودية.^(٣)

استقبل اليهود فى أزميز "شاباتاي زيفى" استقبال الملوك، مستبشرين بعودة السيد المبارك والملك المسيح إله يعقوب، وذاع نبأ قدومه إلى أزميز فى إيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا فلبس الناس أفخر ما لديهم من ثياب، وتجمعوا فى المعابد والبياديين يرقصون ويغنون، ووزع بعض اليهود الأثرياء ثرواتهم؛ معتقدين أنه طالما ظهر المسيح، فلم تعد هناك حاجة إلى الثروات، فكل ما يريدون هو خلاص أرواحهم!^(٤) وهتف الناس فى أزميز بـ "زيفى" قائلين له: "عش طويلاً أيها المسيح الملك، عش طويلاً أيها السلطان زيفى".^(٥)

وفى أزميز جاءت إليه وفود يهودية من أدرنة وصوفيا واليونان وألمانيا، وقلده تاج "ملك الملوك".^(٦)

(1) Turk Ansiklopedisi, op. cit, S. 42.

(2) محمد عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، ط ٢، القاهرة، عام ١٩٥٤، ص ١١٧.

(3) جعفر هادى حسن، فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلامية، ط ٢، ص ١١.

(4) سليمان مظهر، قصة الديانات، دار الوطن للنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٧٠.

(5) Ibrahim Alaettin, sabat sevi, s.lutfik. evi, is. S. 34.

(6) Islam Ansiklopedisi, a.g.e., s. 646.

ولكن رغم كل هذا الترحيب من قبل أهل أزمير إلا أنه لاقى معارضة شديدة من قبل الحاخاميين في بداية الأمر، حيث قام رئيس الحاخاميين "جوزيف إيسكابا" ورجال الدين اليهودي، بالحكم على "زيفى" بالإعدام، إلا أن شاباتاى زيفى استطاع بذكائه أن يؤثر فى رجال الدين اليهودي، وأقنعهم تجاه دعوته، حيث لم تتقضى مدة على ادعاءاته، حتى وجد له أنصاراً كثيرين فى أزمير، وكان هؤلاء المصدر الحقيقى لحركته فيما بعد.^(١)

ومن الأثر الذى تركه "زيفى" فى يهود تركيا، بدأ اليهود يتلون الأدعية فى المعابد لـ "شاباتاى زيفى" بدلاً من السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٧٨م)، واستمر اليهود بعد ذلك يدعون لـ "زيفى" منذ ذلك التاريخ وكانوا يقولون فى دعائهم لـ زيفى: "ليمح الملك الأكبر ملكنا ومسيحنا زيفى الحياة وليرعه، ويرفع نجمه، ومملكته، وليجعل قلوب الملوك والأمراء تتجه نحوه، ونحونا ونحو إسرائيل بالخير أمين".^(٢)

ذهب "زيفى" مع عدد من مريديه إلى أورشليم، وركب فرساً وطاف بالمدينة، يبيع المحرمات الموجودة فى شريعة اليهود، حيث أجاز لمريديه أكل شحم الكبد، ولاقى زيفى معارضة شديدة من اليهود، وأخرجته السلطة المحلية من فلسطين، وأعلن "زيفى" بأنه سيقوم بزيارة استانبول.^(٣) ترك "شاباتاى زيفى" أورشليم، ليواصل دعوته فى استانبول فى بداية عام ١٦٦٦م، ولما وصل إليها، أدخل الحماس فى قلوب أتباعه من اليهود، وأعتقد كثير من اليهود أن "زيفى" سيأخذ القدس، ويمسها لليهود، وأنه يشير ببداية عصر جديد، ودور المسيح الذى ينتظره العالم.^(٤)

تأثر بـ "زيفى" كثير من اليهود والأتراك سواء فى أزمير أو استانبول أو أدرنة أو سلانيك. ففي أدرنة أعلن زيفى عام ١٦٦٨م أنه تلقى وحياً فى عيد الفصح، وصدقه يهود أدرنة، وقالوا: لقد جاء المسيح المنتظر "شاباتاى زيفى"، وأن

(١) مصطفى طوران، يهود الدرنمة، ص ٧.

(٢) جعفر هادى حسن، فرقة يهود الدونمة بين اليهودية والإسلام، ص ٤٨.

(٣) Gyaetz, pupolay History of the Jews, vol. 5, new yourk, 1919, p. 171.

(٤) Graetz, op. cit., p. 162.

بعض الحاخامين فى أدرنة اعترفوا به. وفى سلانك استقبله اليهود بكل ترحيب وتوقير، وأكدت جميع المصادر التى تحدثت عن الدونمة أن سلانك الغالبية العظمى منهم من يهود الدونمة.^(١)

ويشير كوكل الهاملنى Hamelnal Glukel (١٦٤٦ - ١٧٢٤م) أنه تم التأكد من أسفار اليهود بوجود أمر يحدث لليهود يجعلهم يتخلون عن أموالهم فى سبيل تحقيق هذه الغاية، وكانت هذه الغاية مجيء المسيح "شاباتاى زيفى" وأيضاً يقول خيرالله أورش وهو من اليهود الأتراك: إن "شاباتاى زيفى" الذى تلقى الاحترام من قبل مجموعة صغيرة للغاية وقتئذ، جعل اليهود سنة ١٥٥٤م فى معابدهم يهتفون بشعار، فليعيش ملكنا المسيح زيفى".^(٢)

رفض رئيس الحاخامين فى استانبول دعوة "شاباتاى زيفى" ، وذلك لأن زيفى غير فى المعتقدات والعبادات اليهودية، وبناء على ذلك فقد أفتى رئيس الحاخامين بطرده من المعابد، والأمر بقتله.^(٣) ومن الحاخامين الذى عارضوا "زيفى" فى معتقداته ، حاخام أزمير، حيث عمل على طرد زيفى من أزمير، وبالفعل ترك زيفى المدينة، ومن المعارضين لـ زيفى أيضاً الحاخام نحيا كوهين، وذهب الأخير مع بعض الحاخامين إلى السلطان فى أدرنة عن طريق القائمقام "مصطفى باشا"، وبلغوا السلطان بأن زيفى رجل فاجر منغمس فى ملذاته، ويغير من طاعتهم للسلطان، ويشجعهم على الثورة ضد الدولة، وأنه ينبغى التخلص من شروره. وأيضاً حكم جوزيف إيسكابا رئيس الحاخامين على "زيفى" بالإعدام، لكن جوزيف كان واتقاً من حماية الدولة لـ "زيفى"، وعدم تمكينهم لأحد فى إلحاق أى ضرر به.^(٤)

(١) Kvcuk, Abdurrahman, a.g.e., s. 171., Islam Ansikopedisi, a.g.e., 646. turk Ansilopedisi, a.g.e. 42.

(٢) Gratz, op. cit., p. 142.

(٣) محمد على قطب، يهود الدونمة، ص ١٥.

(٤) موفق بنى المرجة، صحوة الرجل المريض والخلافة الإسلامية، ص ٢٤٢. وانظر: جعفر هادى حسن،

فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام، ص ٦١، وانظر: Gratz, op. cit., p. 129.

وأرجع البعض عدم اهتمام الدولة بحركة "شاباتاي زيفى" إلى التسامح الدينى وحرية الاعتقاد، واستقلالية الطائفة اليهودية بأمرها وشؤونها، وفى هذا الصدد يقول "أفرام ليون" اليهودى محزر المجلة الأسبوعية "سالوم": "إن السلطان قد استقبلنا فى عام ١٤٩٢م، بأياد مفتوحة، ونحن ممتنون - يقصد اليهود - بأن يتوفر لنا العيش فى ظل ديمقراطية حقه".^(١)

لم تكن معارضة "زيفى" من يهود الدولة العثمانية فقط، بل كانت هناك معارضة من بعض يهود العالم لادعاءات "زيفى"، على سبيل المثال قام يهودى فى لندن بانتقاد "زيفى" أمام جمهرة من اليهود، قائلاً: "إنى أراهن على أن الشخص الذى فى أزمير - شاباتاي زيفى - ما هو إلا دجال".^(٢)

كما سئل "بندكت دى سبينوزا" الفيلسوف اليهودى فى هولندا عن وجهة نظره فى "شاباتاي زيفى" أجاب قائلاً: "إنه لا يرى سبباً عقلياً لادعاءات شاباتاي زيفى على أنه المسيح المخلص".^(٣)

^(١) Horwe, Harvin, Turkish Jews year Moslem zead 1, Herald Tribune, wed, sept, 1980, P.2.

^(٢) موفق بنى المرجة، صحوة الرجل للمريض والخلافة الإسلامية، ص ٢٢٤.

^(٣) ولد بندكت دى سبينوزا Banduch spinoza عام ١٦٢٢م فى مدينة امستردام الهولندية. كان سبينوزا عارفاً بالشرعية اليهودية ومعتقداتها وبالتلمود، وأسس مدرسة يهودية، واشتهر بكتابه "Ethik" وكان يرى أن الله واحد مع الكائنات وعنى بتوحيد المادة مع الروح التى يخالف بعضها بعضاً، وكان يرى أن الله كائن فى الطبيعة، ولهذا أنكر وجود الله. وكان ذا عقل أعصى بطالب بحرية الدين والتعليم، وبالرغم من وجود معلومات تتعلق بالأخرة، وخلود الروح والعالم الآخر فى كتاب اليهود المقدس - التوراة - بالرغم من القول أن له بعض الأفكار التى تتعجم مع طريقة يهودية قديمة إلا أنه طرد - التوراة - من الجماعة اليهودية بسبب إنكاره لله - تعالى - وكان يقول: "إن قوانين الطبيعة هى القوانين الذاتية لله". سئل سبينوزا عن شاباتاي زيفى فأجاب قائلاً: "إنه لا يرى سبباً عقلياً يمنع إمكان إعادة الحكم لزمنى إلى اليهود وعارض "سبينوزا" حركة زيفى الجديدة فى اليهودية. بينما كان زيفى معارضاً وحليفاً فى الوقت نفسه لـ "سبينوزا"، إلا أن زيفى امتلك الكثير من المعجبين أكثر من سبينوزا. وخالف سبينوزا منهج زيفى ودعى إلى منهج "ديكارت"، وطبق بعضاً منها فى المجالات التى استبعدها "ديكارت" من منهجه خاصة فى مجال الدين الذى يتضمن الكتب المقدسة والكنيسة والمقائد والتاريخ المقدس، لذلك كانت هناك محاولات لاغتياله فى حين أن "ديكارت" كان صديقاً لرجال الدين الذين كانوا يجدون فى منهجه دعامة للدين ونصرة لمقائده وكان "ديكارت" متفقاً معهم فى الغاية وهى إثبات المقائد. لم تكن المعارضة لزيفى داخل تركيا فقط بل كانت خارجها مما جعل سبينوزا أن يقول عنه وعن دعوته أنه رجل دجال ولا بد أن =

ثانياً: علاقة يهود الدونمة بالإسلام:

١- محاكمة "شاباتاي زيفي" وإعلان إسلامه:

بدأت فترة عصيبة بين "شاباتاي زيفي" وأتباعه، وبين اليهود التقليديين في تركيا، بسبب إباحة "زيفي" المحرمات الموجودة في اليهودية، وإشاعة "زيفي" المحرمات الموجودة في اليهودية، وإشاعة "زيفي" لمعجزات وقصص خيالية تخالف المعتقدات اليهودية، فعارض الحاخاميون "زيفي" وقام الحاخام "حميا كوهين" - وهو حاخام بولندي- ومعه حاخام استانبول بإبلاغ السلطان العثماني "محمد الرابع" أن "شاباتاي زيفي" رجل منحس في المذات، وأنه يحرض الشعب ضد السلطان، ويشجعهم على الثورة ضد الدولة، ويعمل على إقامة دولة لليهود على حساب الدولة العثمانية، فأمر السلطان باستدعاء "زيفي"؛ لمواجهة ما قيل عنه وعن دعوته. (١)

وحينما ألقى القبض على "زيفي" اعتقد السلطان أن حركة "زيفي" كانت بمثابة تهديد لعرشه، وقد قيل لـ "شاباتاي زيفي" أمام الهيئة العلمية التي تحاكمه (٢) "تدعي أنك المسيح، فأرنا معجزتك سنجدك من ثيابك، ونجعلك هدفاً لسهام المهرة من رجالنا، فإن لم تغرز السهام في جسمك فسيقبل السلطان أذعاؤك". (٣)

= لا نخضع لهذه الأمور من الأديان وغيرها، ونحكم فيما الكتب التي لا نفع فيها الآن في العصر الحديث - يقصد زمنه - وما التوراة والتلمود وغيرها، إلا أنظمة حكم قد انتهت، وبعد هذا الرأي من جهة سبينوزا بسبب تطبيقه لمنهج "ديكارت" في السياسة فدرس أنظمة الحكم وقرن بينهما، وانتقد الأنظمة الاستبدادية التي تقوم على نظام = الفرد المطلق، حيث توصل إلى أن النظام الديمقراطي هو أكثر النظم اتفاقاً مع العقل والطبيعة، وتوصل سبينوزا إلى نتيجة هو أن النظام الإلهي لا يصلح في الظروف الحاضرة نظراً لخلطة بين الدين والدولة. وكان سبينوزا يدعو الأتراك ألا يصفوا إلى أفكار "زيفي" وعبر عنه بأنه رجل في مكانة الصنم للجنس اليهودي ولا يجب اتباعه. انظر: موفق بنى المرجة، مرجع سابق، ص ٢٤١، ٢٤٢. سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفى، دار وهران للطباعة، بدون تاريخ، ص ١٠، ٩، ٧.

(١) حسن ظانطا، الفكر الديني اليهودي، دار القلم، بيروت، ط ٤ عام ١٩٩٩م، ص ١٢٤، ١٢٦.

(٢) الهيئة العلمية التي شكلها السلطان "محمد الرابع" لمحاكمة "زيفي" تتكون من "مصطفى باشا" نائب رئيس الوزراء و"يحيى أفندي زاده" شيخ الإسلام. انظر: عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال للنشر، بيروت، عام ١٩٩٦ م، ص ٢١٠.

(٣) أحمد نوري النعمي، يهود الدونمة ص ٣٧، نقلاً عن الموسوعة اليهودية الحديثة، ص ٤٤٠.

وخدع "زيفى" السلطان قائلاً له: إننى المسيح المنتظر فما كان من السلطان إلا أن قال له: إما أن تصبح مسلماً، أو تعدم واقفا أمامى، ولكن "زيفى" فقد شجاعته وأسلم ، وارندى للطربوش كعلامة لاهتدائه، ومنحه السلطان لقب "محمد أفندى" وجعله موظفاً حكومياً.^(١)

كتب "زيفى" بعد إعلان إسلامه رسالة إلى أتباعه قال فيها: جعلنى الله مسلماً أنا وأخوك محمد البواب - لأن وظيفته كانت رئيس البوابين فى القصر السلطانى - هكذا أمرنى الله، وأطعت أوامره وكتب "زيفى" رسالة أخرى إلى المؤمنين قال فيها: "جعلنى الله مسلماً، الآن الحقونى بنسل إسماعيل".^(٢) وذكر "زيفى" فى عيد الفصح Phcasah أنه تلقى وحياً حول امتلاكه بروح مقدسة من جديد، وكان يعلم بأنه المسيح الحقيقى بالرغم من تغيير دينه.^(٣) وقال اتباع "زيفى" عند إعلان إسلامه: إن شخصية "زيفى" عرجت السماء وحل محلها مسيح، يرندى ثوباً مسلماً.^(٤)

٢- زيفى فى الحياة الإسلامية:

كانت غاية "مساباتاي زيفى" من إعلان إسلامه، هى جلب الآلاف من المسلمين إلى اليهودية! ويروى أنه أسس المذهب للدونمة بعد أن ربط الكثير من المسلمين بفكرته، كما ربط الكثير من اليهود بالإسلام من الناحية الشكلية.^(٥)

عمل "زيفى" على كسب ثقة الأتراك المسلمين، وأمر أتباعه من اليهود باستبدال أسماءهم بأسماء إسلامية، مع احتفاظهم بأسمائهم لليهودية وعباداتهم وطقوسهم اليهودية، ويكون ذلك سراً من أجل تحقيق أغراضهم القومية تحت ستار الإسلام، فأمر مريديه بالتمسك بالإسلام الشكلى، حيث دعاهم أن يلبسوا للعمائم الإسلامية. وتبعه مائتا أسرة من أتباعه فى صلاتنيك. وقد وصف الله أمثال هؤلاء فى القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ).^(٦)

(١) موفق بنى المرجة، صحوة للرجل المريض والخلافة الإسلامية، ص ٢٤٥، وأحمد نورى النجمى، يهود الدونمة، ص ٢٧.

(٢) محمد إبراهيم زغروت، دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية، دار للتوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، عام ١٩٩١ م ص ٣٩.

(٣) Kusuk, Abburrahman, a.g.e., s.171.

(٤) عجاج نويهص، بروتوكولات حكماء صهيون، ج ٤، ص ٥٢٢.

(٥) Kucuk, Abburrahman, a.g.e.,s.171.

(٦) سورة البقرة، آية ٨٠٩.

عاش "شاباتاي زيفي" بشخصيتين مزدوجتين: شخصية يهودية متمثلة في كونه المسيح المخلص، وشخصية إسلامية ظاهرة مخادعة، بل اتخذت جماعة الدونمة كلها شخصيتين مزدوجتين، الشخصية الإسلامية الشكلية، والشخصية اليهودية الأصلية، حيث أعلنت إسلامها ظاهراً، وفي الوقت نفسه ظلت الدونمة ظاهرياً مع أدائها جميع طقوسها اليهودية داخل المعابد اليهودية سراً. وقد أدت طائفة الدونمة دوراً مؤثراً وملموساً في المجتمع التركي المسلم في مختلف المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية، مع الأخذ الشديد من جماعة الدونمة بالحيلة والسرية في عملها.⁽¹⁾

تغلغل "زيفي" في الحياة الإسلامية واتصل بالصوفية والدرائش، وعن طريقهم انتقل التأثير الصوفي الإسلامي إلى جماعة الدونمة. فكانت حلقات الذكر بالنسبة إليهم يصحبها الإنشاء والموسيقى، كما كان يحدث في الأماكن الصوفية، فعقد "زيفي" حلقات لجماعته سراً عند مقابلتهم لهم في المعابد، وينشد فيها بعض المزامير مصحوباً بالرقص والموسيقى.⁽²⁾

تقربت جماعة الدونمة إلى الطرق الصوفية مثل: المولوية والبكتاشية والخلواتية والملاطية، وكان أول عمل قام به "زيفي" وأتباعه بعد دخولهم الإسلام هو تحقيق المساعدة المادية في تأسيس تكية "عزيز محمود خدای" وهو من شيوخ الطريقة الخلوتية.⁽³⁾

تأثرت الطريقة البكتاشية بـ يهود الدونمة، حيث أخذ المسلمون المنتسبون إلى البكتاشية علم طريقة حساب الجمل، وهو الاعتماد على إعطاء كل حرف من

(1) ILgaz,zurLu, Evet ,Ben selanikliyim , Turkiye Abatayciligi, Is,1998 .s.40.

(2) مصطفى طوران، يهود الدونما، ٨٦، وعبد المنعم الحفنى، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، ص ١١٢.

(3) أسس "عزيز محمود خدای" الطريقة الخلواتية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وكان من أهل السنة في تركيا، وله ديوان أناشيد إسلامية تحت عنوان "ديوان الإلهيات"، وأعمال نثرية باللغة التركية. مثل طريقته، ومراجبه، وكان له مكانة مرموقة عند السلطان. انظر: أكمل الدين إحسان أوغلو، للدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ٨١.

حروف الأبجدية عدد خاص له مثل الالف = ١ والهاء يساوي = ٥ والواو = ٦
والجيم = ٣... وهكذا.^(١)

ومما يؤكد هذا الكلام استخدام يهود الدونمة أعداد خاصة بهم تسمى حساب
الجمال، وقاموا بتفسيرها عدة تفسيرات فلسفية تتوافق مع أهدافهم الصهيونية،
ف عندهم حرف $Z = ٧$ وحرف $A = ١$... وهكذا.^(٢)

ولم تكف الدونمة بتقربها إلى الطرق الصوفية بل تسللت إلى الجماعات
الإسلامية الأكثر تساهلا في قواعدها الدينية والأكثر تقرباً إلى السلطة.

وكان "زيفي" على علاقة بـ "نيا زي المصري" - تركي الأصل وهو من
المتصوفين -^(٣) حيث أقام "زيفي" فترة في تكية "نيا زي المصري"، وأسس معه
علاقة صداقة وكانت لهما أفكار مشتركة حيث ادعى "زيفي" أنه "المسيح وادعى
"نيازي" أنه "المهدي" وكانا يحاربان شيخ الإسلام التركي في ذلك العصر.^(٤)

وقد تكثفت العلاقة بين جماعة الدونمة وبين المتصوفة الإسلامية في مدينة
سلانيك واحتلت الدونمة مكانا في بعض المجتمعات الإسلامية حتى عام ١٩٢٤م
إلا أن هذا النشاط قل بعد قرار الجمهورية التركية بإغلاق للتكايا والزوايا
الصوفية. ومن الأعمال التي قام به جماعة الدونمة إنشاء مسجد "قيضية خاتون"
في استانبول وتكية للطريقة الخلواتية ويشير أحد الدونميين بأن "تكية للبدوي"
التي أنشأت في مصر. على يد السيدة رابعة العدوية - ١٨٩٩م - شهيدة للحق
الإلهي - بنيت على يد جماعة الدونمة وأول عمل قاموا به في استانبول هو توفير

(١) هدى درويش المنهج الصوفي بالطريقة البكتاشية وتأثيره على السلطة الحاكمة في تركيا، مجلة كلية
الآداب، جامعة الزقازيق، ع نوفمبر ٢٠٠١م، ص ٣٦.

(٢) هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة في تركيا، ص ١٧.

(٣) نيازي للمصري من مشايخ الطريقة الخلواتية في القرن السابع عشر الميلادي، وهو مؤسس للطريقة
الخلواتية في مصر. اشتهر في تركيا بدروس الوعظ التي كان يلقيها في أكبر جوامع بورصة، وقضى
فترة من حياته للكتابة فكانت له أعمال باللغة العربية وأخرى بالتركية. انظر: أكمل الدين إحسان أوغلو،
الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ٢، ص ٨٢، ٨٣.

(٤) هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة في تركيا، ص ٤٣، ٤٤.

المساعدة المادية للطرق الصوفية. تأثر بالدونمة بعض الشخصيات التركية المسلمة حيث إنتمى هؤلاء إلى المحافل الماسونية وفي عام ١٩٠٨م كان يوجد في محفل "فيرتاس" الماسوني خمسة عشر عضواً مسلماً، وهؤلاء ذو أصول دونمية، نادوا فيما بعد بالأخذ بالتغريب والبعد عن الثقافة الإسلامية.^(١)

وبعد عام ١٩٢٤م تركت جماعة الدونمة الطرق الصوفية والاختلاط بالمسلمين ولجأت إلى المحافل الماسونية وترك الأسماء الإسلامية، والبعد عن الدور الإسلامي الشكلي.^(٢)

(١) أحمد نوري النعيمي، يهود الدونمة، ص ٦٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٦، ٦٦.